قراءة في
مخطوط "استغفار أبي مدين"

أ . غريش صادق *

الحمد لله الذي أنزل الشرائع لتهذيب النفوس وإصلاحها ،فقال عزّ من قائل "ونَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا" (الشمس آية 7–10) ، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمّد ابن عبد الله الذي بعثه ربّه إلى الثقلين برسالة حاصلها "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ"[1]، وصفه ربّه بأبلغ وصف فقال :" وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ"(القلم آية 4)، وعلى آله وصحبه أئمّة الهدى الذين تزيّنوا بحسن الأدب، وتسلّحوا بالأخلاق العالية ، فدانت لهم الممالك ، وأذعنت لهم الدنيا ، وبعد:

فإنّ تزكية النفس ورياضتها ، وتحليتها بمكارم الأخلاق، وتخليتها عن مذموم العادات موضوع شغل علماء الأخلاق في الإسلام ، فعقدوا له المجالس ، وصنّفوا فيه الأسفار والمؤلّفات ، حتّى صار فنّا قائما بذاته ، واشتهر فيه شيوخ وعلماء، ذاع صِيتُهم ، وارتفع ذكرُهم ، لاشتغالهم بتربية النفوس وتقويم السلوك ، وهداية المريدين إلى أقوم المسالك في معاملة الخالق والخلق ، ومن بين أولائك الأعلام

---

* أستاذ مشارك بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

والمشايخ نجد الوليَّ الصالح سيّدي أبي مدين التلمساني الذي طبقت شهرته الآفاق في بلاد الجزائر والمغرب ، وقبره مزار السيّاح في تلمسان، غير أنّ ما يجهله الناس عن الشيخ هو كتاباته ومؤلّفاته التي تركها، ومن جملتها هذا المخطوط الذي بين أيدينا الموسوم بـ : "**استغفار أبي مدين** " ، والذي أحاول من خلال هذا المقال تسليط الضوء على مضمونه ومحتواه ، ومناقشة ما جاء فيه، بعرضه على ما كتب علماء هذا الشأن ، من خلال النقاط الآتية :

- ترجمة صاحب المخطوط .
- وصف المخطوط.
- عرض محتوى المخطوط .
- لغة المصنّف ومنهجه .
- مناقشة محتوى المخطوط.
- خاتمة .

ترجمة صاحب المخطوط "الشيخ أبو مدين التلمساني"[2] [3] :

نسبه ومولده : هو شعيب بن حسين [4]الأندلسي التلمساني أبو مدين، الصوفي، الزاهد، شيخ أهل المغرب ، أصله من الأندلس من حصن منتوجب من أعمال إشبيلية. وأغلب المصادر لا تُشير إلى تاريخ مولده وإن كانت تشير إلى أنّه قارب الثمانين ، مما يُرجّح ما ذهب إليه صاحب طبقات الأولياء من أنّه ولد سنة 504هـ .

نبوغه وصلاحه وهيبته: كان كبير الصوفية والعارفين في عصره، من أهل العمل والاجتهاد، منقطع النظير في العبادة، حتّى وُصِف بأنّه سلطان الوارثين، وكان أخوه عبد الحقّ إذا دخل عليه، وجد حاله حسنة سنية، فيقول: هذا وارث على الحقيقة ، قالوا: وكثر أتباعه حتّى خافه السلطان يعقوب المنصور .

آثاره: له :"مفاتيح الغيب " و" لإزالة الريب " و"ستر العيب" و"أنس الوحيد " و"نزهة المريد في علم التوحيد" و" الحكم " و" حكم أبي مدين".

رحلاته وأسفاره: يبدو أنّ الشيخ كان وافر الحيوية والنشاط، كثير السياحة، جاب الكثير من البلدان، ولم يكن لصيقا بالأرض التي وُلد فيها، وهذا أمر مفهوم بالنظر إلى أنّ السياحة من وسائل التربية وتهذيب النفس عند الصوفية، حيث أقام بفاس، وسكن بجاية مدّة ثم سكن تلمسان .

وفاته : اختلف المؤرّخون في تاريخ وفاته فبعضهم أرّخ لها بـ590هـ والبعض الآخر بـ589هـ،والبعض سكت عن تاريخ وفاته لكن بالنظر إلى اتفاقهم على أنّه عاش قريبا من الثمانين أو تجاوزها ، يُرجَّح أن تكون سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة (593هـ) بتلمسان ، وكان من آخر كلامه " الله الحيّ " ثمّ فاضت روحه الطاهرة– رضي الله عنه وأرضاه–.

وصف المخطوط:

يبدأ المخطوط بعبارة "بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم تسليما "، وينتهي بعبارة " كمل الاستغفار بحمد الله وحسن عونه وصلّى الله على سيّدنا محمّد نبيّه وعبده وسلّم "، ويحتوي على نحو ثلاث وخمسين سطرا انتظمنتها ثلاث صفحات، مكتوب بخط يكاد يكون واضحا ومقروءً ، إلاّ بعض الكلمات التي تحتاج من قارئها إلى شيء من الجهد لاستجلائها، استُعمل في كتابته اللون الأسود، ما خلا العناوين فإنها مسطورة باللون الأحمر، والمخطوط يخلو من علامات الترقيم ومن العناوين، وينعدم فيه ترقيم الصفحات، يتكوّن من قسمين :القسم الأول مُعَنْوَنٌ بـ "باب أساس المريدين"، ويُفترض أن يُقابَل هذا الباب بباب آخر أو أبواب ، غير أنّ ذلك كلّه غير موجود، وما هو موجود بعد استعراض أركان السلوك ،هو أبيات من النظم في الاستغفار، وكأن المخطوط مبتور وغير مكتمل .

عرض مضمون المخطوط.

ينقسم المخطوط إلى قسمين :قسم يتعلّق بأركان المريد السالك إلى طريق الآخرة ، وقسم آخر منه يتعلّق بأبيات من النظم حول الاستغفار .

أولا:أركان طريق السالك

يرى الشيخ أبو مدين أنّ طريقة السالك إلى الله ينبغي أن تقوم على أربعة أركان :

1. **الركن الأول ،الجوع** : ثم يشرع في بيان فوائده وهي:

- **الفائدة الأولى** :أنّه يؤدّي إلى إنقاص الدم قي القلب، وبالتالي استِنَارَتُه ورقَّتُه، وفي ذلك كلّه حياته وصلاحه الذي يصلح به الجسد، ونجاة صاحبه ، وفوزه برضوان الله – عز وجل –.
- **الفائدة الثانية** : وفي نقصان دم القلب بسبب الجوع فائدة أخرى هي: إذابة شحم القلب، وتضييق مسالك الشيطان، لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق.
- **الفائدة الثالثة** : في الجوع إضعاف لسلطان العدوّ(الشيطان) وفي ذلك إذلال للنفس، وفي إذلالها سقوط صفاتها المؤدي إلى صفاء الوقت وصفاء المعاملة وفيهما رضا الله —عز وجل–.
- **الفائدة الرابعة** :أنّه يقلل الرغبة في الدنيا، ويكسر شهوتي البطن والفرج، ويقضي على فضول الكلام والنظر والحركة، ويجمع الفكر، ويقوّي عزم المريد إلى طلب الآخرة، ويعزّز اليقين بالوعد والوعيد.

ثم يَخلُص عقب بيان فوائد الجوع إلى التأكيد على:

أهمية الجوع :فالجوع أصل عظيم ، ينبغي أن يشدّ عليه السالك لطريق الآخرة ، لأنه باب من أبوابها ،وهو على الحقيقة مفتاح الزهد.

التأصيل الشرعي للجوع:

- **ورد** عن عيسى –عليه السلام–أنّه قال :"**يامعشر الحواريين ، جوّعوا بطونكم وعطّشوا أكبادكم واعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله –تعالى –**".
- والبطن الجائع مورد الملائكة والبطن الجائع مورد الشياطين .
- والشيطان يفرّ من الجائع النائم فكيف إدا كان مستيقظا ،ويعانق الشبعان فكيف إذا كان نائما .
- وأوّل بدعة حدت بعد النبي –صلى الله عليه وسلم – الشبع .
- والجوع طعام الصدّيقين ، فمن شاركهم في طعامهم ، فقد تشبه بهم ، ومن تشبّه بقوم كان منهم ،كما أنّ الشبع طعام البهائم ، ومن شاركهم فيه فقد تشبه بهم .
- المؤمن الجائع يحبّه الله ، والشبعان يبغضه الله .
- الشبع من الحلال مفتاح كل شر ، فكيف إذا كان من شبهة و حرام؟.

2. الركن الثاني ، السّهر :

فائدته: تنوير القلب ، وتصفيته ليستيقن ، ويعاين الغيب ،ويتجافى عن دار الغرور.

التأصيل الشرعي: قيل أنّ من سهر أربعين ليلة كوشف بملكوت السماء .

3. الركن الثالث،الصمت: وفوائده:

- يُلَقِّحُ العقل ويعين على الخروج من المعضلات، إذا انضاف إليه حسن التأويل والعلمِ الراجح بجعل الله وتوفيقه، ويعلّم الورع ويجلب التقوى.
- يُوفَّق به العبد إلى القول السديد والعمل الرشيد.
- يجلب الحكمة والسلامة ، ويُقِلُّ الأخطاء والسيئات.

التأصيل الشرعي :

- ورد أنّ أكثر أخطاء ابن آدم في لسانه.
- وورد عن النبي –صلى الله عليه وسلم–أنّه قال:"وهل يُكبّ الناس على رؤوس مناخرهم في جهنّم إلا حصائد ألسنتهم " [5].

4. الركن الرابع ، الخلوة :

فوائدها:

- تفرّغ القلب بأمر الخالق، وتجمع الهمّ بأمر الخالق، وتقوّي العزم على الثبات، وتجلب الأنس بالله –تعالى – والوحشة من الخلق.
- تقلّل من التفكير في عاجل حظوظ النفس،وتجلب الوحشة من الخلق.

التأكيد على أهمّية الأركان الأربعة :

إنّ من ضيّع هذه الأركان الأربعة، يقع – بالضرورة – في أضدادها، وأضدادُها هي أبواب الدنيا ومفاتيح الغفلة، وطرقات الهوى، فالجوع ضده الشبع وآفات الشبع كثيرة منها: الرغبة في الدنيا، وقسوة القلب وظلمته، ويقوّي شهوة البطن والفرج والسمع والكلام والحركة، ويُضعف الإيمان ويُخمد نوره، ويجلب النوم والكسل ...

تنبيه : يبدو أنّ كلام الشيخ لم ينته، لأنّه شرع في الكلام عن السهر بالقول :" وأمّا السهر ..." وتوقفت الكتابة عند ذلك الحد، فالنسخة غير كاملة، بسبب ضياع شيء منها والله أعلم.

ثانيا : استغفار الشيخ أبي مدين .

وهو عبارة عن أبيات نظمها الشيخ حول الاستغفار جاء فيها :

أستغفر الله ما لاح الصباح وما * قد حنّ مشتاق أهل البان والعلم**

أستغفر الله تعداد الحروف وما * في الذكر من آية تُتلى ومن حكم**

أستغفر الله تعداد الهرام وما * ينهل في عالم الدنيا من الديم**

أستغفر الله تعداد الخلائق من * إنس وجنّ ومن عرب ومن عجم**

أستغفر الله تعداد الخواطر في * صدور أهل التقى والعلم والحكم**

أستغفر الله جل الله خالقنا * باري البرايا ومنشينا من العدم**

أستغفر الله جلّ الله رازقنا * قبل الوجود وقرّر سائر القسم**

أستغفر الله لا تُحصى له نعم * المنعم المفضّل الموصوف بالكرم**

أستغفر الله جل الله باعثنا * بعد الفناء ويحيي الأعظم الرمم**
أستغفر الله جل الله جامعنا * ليوم مزدحم الأملاك والأمم**
أستغفر الله أضعافا مضاعفة * مما ذكرت من الأجناس والقسم**
أستغفر الله لا أحصي عليه ثناء * أثنى على نفسه من قبل في القدم**
ثم الصلاة على المختار من مضر* خير البرية من باك ومبتسم**
والآل والصحب والتسليم يعقبها * من ربنا وعلى الأتباع كلّهم**

ففي هذه الأبيات يظهر الشيخ بمظهر العبد المفتقر إلى عفو ربّه وغفرانه، تتجلّى فيها مظاهر العبودية، وغاية التذلل لله ربّ العالمين، الذي خلق الإنسان وأنعم عليه وأحاطه بأصناف الخيرات، وأناله من الألطاف ما يعجز اللسان عن وصفه، ويقصر العبد عن الوفاء به مهما أتى من ألوان الطاعات وضروب العبادات، وفي كلّ ذلك يَأتَمُّ الشيخ بإمام المرسلين – صلى الله عليه وسلّم- حين كان يُغان [6] على قلبه فيستغفر الله في اليوم مائة مرّة[7] .

وفي هذا النظم تنويه من الشيخ بفضل الذكر باعتباره طريقا إلى الأنس بالله – عزّ وجل-، وفيه تأدّب مع الله والوقوف في وصفه والثناء عليه عند الحدود التي التزمها المصطفى –صلّى الله عليه وسلّم-بقوله : " لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك" [8].

لغة المؤلّف ومنهجه :

اعتمد المؤلّف لغة بسيطة خالية من التعقيد، فليس في المخطوط كلمة غريبة تستعصي على الفهم، وأسلوبه موجز ومركّز يناسب المقام، لأنّه يخاطب المريدين

الذين يتّجه قصدهم إلى العمل أكثر من التنظير والتأصيل " إعلم أنّ أساس طريقة المريد أربعة أركان ...".

منهجه :

- أن يذكر فائدة الركن الذي هو بصدد بيانه دون حدّه وتعريفه، فحين يتحدّث عن الجوع مثلا يُردف بالقول :" وفائدته أنّه يُنقِص دم القلب ..."، وقِسْ على ذلك " السهر : وفائدته ..." وكذلك الشأن مع بقية الأركان الأخرى.
- ويعتمد في بيان فوائد الأركان على مسلك التعليل والتسلسل في ربط الأفكار في محاولة لإقناع السّالك بالإقبال عليها، والصّبر في ممارستها ليجنِيَ ثمارها، كأن يقول له في فوائد الجوع:"وأنّه يُضعف سلطان العدوّ، وفيه ذلّ النفس ، وفي ذلّها سقوط صفاتها، وفي سقوط صفاتها صفاء الوقت، وفي صفاء الوقت صفاء المعاملة ، وفي صفاء المعاملة رضى الله –عزّ وجلّ–" .
- يُعقِب الشيخ ذكر الفوائد بالتأصيل الشرعي – غالبا – بإيراد حديث من نحو قوله في ركن الجوع: "كما ورد أنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا مجاريه بالجوع والعطش "[9]، وهو حين يفعل ذلك لا يذكر درجة الحديث، أو يكتفي – أحيانا– بأثر من آثار السلف يحكيه بصيغة التضعيف نحو قوله في ركن السهر :" وقد قيل من سهر

أربعين ليلة كوشف بملكوت السماء ". أو ربّما لجأ إلى الإسرائيليات مستشهدا بقول المسيح عيسى – عليه السلام– لأتباعه :"يا معشر الحواريين جوّعوا بطونكم وعطّشوا أكبادكم واعروا أجسادكم لعلّ قلوبكم ترى الله –تعالى–".

مناقشة محتوى المخطوط:

أوّلا: لا يُولي الشيخ أبو مدين كبير اهتمام لمسألة التأصيل الشرعي لأركان السالك التي بسطها في هذا المخطوط، واكتفى في ذلك ببعض الآثار التي لا ترقى لدرجة الصحّة ، وربّما خلت بعض الأركان من الأدلّة الشرعية ويعود ذلك –ربما– للسبب الآتي:

هذه الرسالة –كما يبدو – موجّهة إلى مريدي الشيخ، وشأن المريد أن يثق في شيخه ثقة تُغنيه عن الدليل فيما يُلقي عليه، ولأنّ المتعبّدين – غالبا– يهمّهم العمل أكثر مما يعنيهم معرفة الدليل، قال الإمام النووي في مقدّمة كتابه "**الأذكار** " في معرض حديثه عن دواعي عزوف المتعبّدين عن مطالعة الأسانيد التي كانت تعجّ بها كتب المتقدّمين وسبب اقتصاره على المتون دون الأسانيد :" ...ولكنّها مطوّلة بالأسانيد والتكرير فضعفت عنها همم الطالبين ... وأحذف الأسانيد في معظمه، لما ذكرته من إيثار الاختصار، ولكونه موضوعا للمتعبّدين وليسوا إلى معرفة الأسانيد متطلّعين، بل يكرهونه وإن قصُرإلا الأقلّين ..."[10] ولذلك خلا

هذا المخطوط من الشواهد الشرعية إلاّ من بعض الآثار، وهذا ليس مبرّرا للتساهل في معرفة الدليل لأنّ العمل مبنيّ عليه ومفتقر إليه .

ثانيا: إنّ بعض الآثار والأحاديث التي وظّفها الشيخ في هذه الرسالة غير مخرّجة وتخلو من الإشارة إلى درجة الصحّة نحو حديث "...وهل يكبّ الناس على مناخرهم في جهنّم إلاّ حصائد ألسنتهم"[11]، وبعضها من قبيل الإسرائيليات نحو حديث المسيح عيسى –عليه السلام إلى الحوارين حول الجوع ،لأنّ السياق يفيد الوعظ والإرشاد، وشأن المواعظ والرقائق أن يُحتجّ فيها بالأحاديث الضعيفة، وهو اتّجاه أَمَّهُ بعض علماء الحديث، كما صنع الحاكم في مستدركه في صدر كتاب الدعاء قال –رحمه الله – "... وأنا بمشيئة الله أجري الأخبار التي سقطت على الشيخين في كتاب الدعوات على مذهب أبي سعيد عبد الرحمان بن مهدي ثم ساق بسنده إليه " إذا روينا عن النبي – صلى الله عليه وءاله وسلم – في الحلال والحرام والأحكام شدّدنا، وإذا روينا في فضائل الأعمال والثواب والعقاب والدعوات، تساهلنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال"[12].

لكنّ هذا الاتّجاه في اعتماد الأحاديث الضعيفة والآثار الواهنة في الرقائق والفضائل بحجة أنّها لا ينبني عليها الحلال والحرام، وإن كان اتّجاها محترما، أَمَّه بعض العلماء الأجلاّء، إلاّ أنّ فريقا آخر رأى غير ذلك، حيث أنّ المبالغة في الترغيب في بعض الفضائل أو الترهيب منها من شأنه أن يُخِلّ بالنّسب التي حدّدها الشارع لتلك الأعمال :"إنّ أحاديث الرقائق والترغيب والترهيب – وإن كانت لا تشتمل على حكم يُحلّل أو يحرّم – نجدها تشتمل على شيء آخر، له

أهمّيته وخطورته، وإن لم يلتفت إليه أئمّتها السابقون ، وهو ما يترتب عليها من "اختلال النسب "التي وضعها الشارع الحكيم للتكاليف والأعمال، فلكلّ عمل مأمور به أو منهيّ عنه وزن أو سعر معيّن في نظر الشارع بالنسبة لغيره من الأعمال ، ولا يجوز لنا أن نتجاوز به حده الذي حده له الشارع، فنهبط به عن مكانته أو نرتفع به فوق مقداره..." [13]

إنّ إيلاء بعض الأعمال الصالحة أهمّية، بتضخيم الثواب المترتب عليها ، أو المبالغة في التنفير من الأعمال الفاسدة بتضخيم ما فيها من عقاب ربّما أدّت إلى تشويه صورة الدّين[14] .

ثالثا: إنّ بعض ما كتب في باب السلوك سلك فيه المصنّفون غير سلوك الشيخ في بسط تلك المواضيع وعرضها ، فكتاب "الإحياء "–مثلا– وهو من أهم ما أُلّف في هذا الفنّ عندما تعرّض للعزلة لم يقتصر على ذكر فوائدها بل عرض لآفاتها، وقارن بينها وبين المخالطة، وأشار إلى حجج الفريقين، بل وذهب إلى أنّ أكثر التابعين استحبّوا المخالطة ومنهم:سعيد ابن المسيّب ، والشعبي وابن أبي ليلى ،وابن عيينة وابن المبارك والشافعي، وأحمد ابن حنبل وغيرهم كثير[15].

وذكر ستّ فوائد للعزلة منها [16]: التفرغ للعبادة والفكر، التخلص من المعاصي الناجمة عن الخلطة ،الخلاص من الفتن والخصومات، الخلاص من شر الناس، انقطاع طمع الناس عنك، وانقطاع طمعك عنهم، الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى .

ثمّ انتقل إلى بيان آفات العزلة فقال –رحمه الله–:" اعلم أنّ من المقاصد الدينية والدنيوية ما يُستفاد بالاستعانة بالغير، ولا يحصل ذلك إلاّ بالمخالطة ، فكلّ ما يُستفاد باالمخالطة يفوت بالعزلة، وفواته من آفات العزلة ، فانظر إلى فوائد المخالطة، والدواعي إليها ما هي، وهي : التعليم والتعلّم ، والنفع والانتفاع ، والتأديب والتأدّب ، والاستئناس والإيناس ، ونيل الثواب وإنالته في القيام بالحقوق، واعتياد التواضع ، واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها ..."[17]

ففي هذه المقارنة بين العزلة والمخالطة ما يخدم الحقيقة ويُجلّيها ويعكس وسطية الإسلام وإيجابيته ، خلافا لما صنعه الشيخ أبو مدين من الاقتصار على فوائد العزلة .

وفي تلك المناقشة لفوائد كلٍّ من العزلة والمخالطة ما يدفع اللبس والغموض، ويجعل المسلّم على بيّنة وبصيرة من أمره، فيُقبل على العزلة حين تتعين الحاجة إليه، ويختلط بالناس حين تتحقق المصلحة في ذلك ، ولا ينخرط في سلك أولئك الذين لا يميّزون، حيث:" يذمون الدنيا ، ولا يدرون ما المذموم منها، فيتصوّر المبتدئ ذمّ ذات الدنيا ، فيهرب المنقطع إلى الجبل ، وربما فاتته الجماعة والجمعة ، ويقتصر على البلّوط والكمثرى فيورثه القولنج [18]، ويقنع أحدهم بشرب اللبن فينحلّ الطبع، أو يأكل الباقلاء والعدس فيحدث له قراقر[19]، وإنّما ينبغي لقاصد الحجّ أن يرفق أولا بالناقة ليصل، ألا ترى للفطن من الأتراك يهتمّ بفرسه قبل تحصيل قوت نفسه "[20].

هذا العرض المتوازن لموضوع العزلة والمخالطة والأكل والشرب، ينسحب أيضا على الغنى والفقر، حيث أنّ تغليب جانب الفقر وتفضيله على الغنى مطلقا مجانبٌ لّلحق، بل الصواب أنّ للغنى آفاته ،كما له فوائده ، وكذلك الأمر بالنسبة للفقر، يقول ابن الجوزي :"رأيتُ من أعظم الشيطان ومكره، أن يُحبِط أرباب الأموال بالأموال، والتشاغل باللذات القاطعة عن الآخرة وأعمالها، فإذا شغلهم بالمال، تحريضا على جمعه، وحثّا على تحصيله، أمرهم بحراسته بخلاً به ... ثمّ دفن في هذا الأمر من دقائق الحيل الخفية أن خوّف مِن جَمْعِه المؤمنين ، فنفّر طالب الآخرة منه، و بادر التائب بأن يُخرج ما في يده، ولا يزال الشيطان يحرّضه على الزهد ويأمره بالترك، ويُخوّفه من طرقات الكسب، إظهارا لنصحه وحفظ دينه، وفي خفايا ذلك عجائب من مَكْرِه ... فإذا أخرج ما في يده ، وتعطّل عن مكاسبه ، عاد يُعلّق طمعه بصلة الإخوان، أو يُحسّن ظنّه بصلة السلطان ..." [21].

ولو أنّ طالب الحقيقة تأمّل سير الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين لعلم أنّ فيهم من ملك وحاز الأموال دون أن يشغله عن دينه وذكر ربّه ، وأداء حقّ ربّه فيه مِن مِثْل :الخليل إبراهيم – عليه السلام – و أبو بكر الصّدّيق وعثمان– رضي الله عنهما– وغيرُهم كثير، فالمسلم يطمع أن يَكسب ليُعطِي لا ليُعطَى، وليتصدّق لا ليُتصدّق عليه .

ولذلك تجب الموازنة بين ثنائيات الفقر والغنى والجوع والشبع والعزلة والخلوة، فإنّ هذه المواضيع تتنزّل حسب الأحوال والأشخاص، وليس كلّ شخص يصلح له الفقر أو الجوع .

خاتمة : يُعتبر هذا المخطوط – على صغر حجمه – أثرا مهمّا من آثار الشيخ أبي مدين التلمساني الذي يجهل الكثير من النّاس كتاباته وتراثه العلمي، ولا يعرفون من حياته إلاّ صلاحه وبركته وكراماته .

كما تتجلّى القيمة العلمية لهذا المخطوط في أنّه محاولة للإسهام في ترويض النفس البشرية وتزكيتها، ورسم الطريق الموصِلة إلى الله –تعالى–، وحسن معاملة الخالق والخلق، وهو بذلك يسُدّ ثغرة في جدار علم الأخلاق والسلوك ، ويُعدُّ لبنة هامّة في صرحه الشامخ، ويفتح الباب واسعا أمام من يبحث تراث الشيخ الجليل أبي مدين –رحمه الله –.

الهوامش

1– أخرجه البيهقي في السنن الكبرى تحت رقم 20571 من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– .[السنن الكبرى للبيهقي لأحمد بن الحسين أبو يكر البيهقي ت: محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرّمة 1994م]

2– ترجم صاحب" البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" لـ: سيدي بن شعيب بن أحمد بن جعفر بن شعيب أبو مدين محيلا على " الدرر الكامنة " الذي نقل هو الآخر عن بدر الدين الزركشي ، لكنّ الشخصية المترجَم لها مختلفة عن تلك الموجودة في المصادر الأخرى، ومن بين نقاط الاختلاف :النسب (ابن أحمد بينما هو ابن حسين أو حسن في المصادر لأخرى)، البلد (تونس بينما هو الأندلس في المصادر الأخرى)، تاريخ المولد (727هـ بينما هو 514هـ في لمصادر الأخرى)، تاريخ الوفاة (770هـ بينما هو 594هـ تقريبا في المصادر الأخرى) وبالتالي فنحن أمام شخصية أخرى غير التي هي موضوع البحث .

3– الوافي بالوفيات لصفي الدين خليل بن أحمد الصفدي ، ت : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت –لبنان– ط:1 2000م ، ج16 ص:95 رقم

الترجمة :5424 و معجم المؤلّفين لعمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة دط،دت ، ج1ص 815 رقم الترجمة :6039 وطبقات الأولياء لابن الملقّن ، تّ نور الدين شريبة ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط: 2 1994م ، ص : 437-438 رقم الترجمة 132 و الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني دار الجيل بيروت 1993م ج2 ص 1993 والبستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لأبي عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد الملقب بابن مريم ، راجعه محمد ابن أبي شنب ، طبع في المطبعة الثعالبية سنة1908م ص115 ، والأعلام لخير الدين الزركلي ،دار العلم للملايين ، ط:15، 2002م ،ج3 ص166.

[4]- بعض المصادر تنسبه إلى الحسن بدل الحسين كما فعل صاحب معجم المؤلّفين والزركلي .

5- أخرجه الإمام أحمد في مسنده تحت رقم 22116 من حديث معاذ – رضي الله عنه - [مسند أحمد بن حنبل للإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ، مؤسسة قرطبة – القاهرة]

6- قال صاحب "المُفْهِم ": " ليُغان :ليُغطّى، والغين التغطية ومنه يُقال للغيم الغين لأنّه يغطي، ولا يُظنّ أنّ أحدا قال :إنّ قلب النبي –صلّى الله عليه وسلّم – تأثر بسبب ذنب وقع منه بغَين أو رين أو طُبع عليه ، فأنّ من جوّز الصغائر على الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – لم يقل أنّها إذا وقعت منهم أثّرت في قلوبهم ، كما تؤثر الذنوب في قلوب العصاة ، بل هم مغفور لهم ومكرّمون ، وفير مؤاخذين بشيء من ذلك ، فثبت بهذا أنّ ذلك الغين ليس بسبب ذنب ، ولكن اختلفوا في ذلك الغين ، فقالت طائفة : إنّه عبارة عن فترات وغفلات عن الذكر الذي كان دأبه، فكان يستغفر الله من تلك الغمرات ، وقيل : كان ذلك بسبب مااطّلع عليه من أحوال أمّته ، وما يكون منها بعده ، فكان يستغفر الله لهم ، وقيل : كان ذلك لما يَشغُله من النظر في أحوال أمّته ومصالحهم ومحاربة عدوّه عن عظيم مقامه ، فكان يرى أنّ ذلك- وإن كان من أعظم الطاعات وأفضل الأعمال – نزول عن علوّ درجاته و رفعة مقامه ، غيستغفر ربّه من ذلك، وقيل كان ذلك حال خشية وإعظام لله –تعالى –، والاستغفار الذي صدر منه لم يكن لأجل ذلك الغين بل للقيام بالعبادة ... وقال بعض أرباب الإشارات : إنّ النبي – صلى الله عليه وسلّم –كان دائم الترقّي في

المقامات ، سريع التنقل في المنازلات ، فكان إذا ترقّى من مقام إلى غيره ، اطّلع على المتنقّل عنه ، فظهر له أنّه نقص بالنسبة إلى المتنقّل إليه ، فكان يستغفر الله من الأوّل ويتوب منه كما قال في الحديث ، وقد أشار الجنيد –رحمه الله – إلى هذا بقوله : حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين . والله –تعالى أعلم –. "[كتاب المفهم لما أشكل من صحيح مسلم لأبي العبّاس أحمد ابن عمر الأنصاري القرطبي ، ت:د/ عبد الهادي التازي ، ط:1 ،مطبعة الكرامة ، الرباط –المغرب 2005م ج 4ص : 1520]

7- أخرجه مسلم بهذا اللفظ من حديث الأغرّ المزني تحت رقم 2702 كتاب الذكر والدعاء ، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه .

8- أخرجه الحاكم في المستدرك تحت رقم 1150 من حديث علي ابن أبي طالب – كرّم الله وجهه –وقال : صحيح الإسناد [المستدرك على الصحيحين للإمام أبي عبدالله الحاكم النيسابوري ت: مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية – بيروت ط:1 ، 1411 – 1990]

9- أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن شهاب عن غلي ابن الحسين تحت رقم 1933 باب :"زيارة المرأة زوجها في اعتكافه .

10- الأذكار للإمام النووي ، شرح مختصر للعلامة ابن علاّن ، دار المعرفة بيروت –لبنان ص4

11- سبق تخريجه .

12- المستدرك على الصحيحين للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ،دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع ط:1 ، 1997م ج:1 ص:671-672

13- كيف نتعامل مع السنة النبوية –معالم وضوابط – د/يوسف القرضاوي،دط،دت، ص:77-78

14- المرجع نفسه ص: 78 بتصرّف .

15- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ، اعتنى به : القاضي الشيخ محمد الدالي البلطة، المكتبة العصرية ، صيدا –بيروت 2005م ج:2 ص:302 بتصرف .

16- إحياء علوم الدين لأبي حامد ج2 ص 308 وما بعدها بتصرف .

17-المصدر نفسه ج2 ص320

18- القُولَنْجُ : بفتح اللام وجع في المعى المسمى (قُولُن) بضم اللام و هو شدة المغص [المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ،أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي المكتبة العلمية – بيروت ج2 ص: 518]

19- القُرْقورُ: السفينة الطويلة. وحادٍ قُراقِرٌ وقُراقِرِيٌّ، إذا كان جيِّد الصوت، من القَرْقَرَةِ. والقَرْقَرُ: القاع الأملس. والقَرْقَرَةُ: نوعٌ من الضحك. وقَرْقَرَتِ الحمامةُ قَرْقَرَةً وقَرْقَريناً... وقَرْقَرَ بطنه، أي صوَّتَ. والقَرْقَرَةُ: الهديرُ، والجمع القَراقِرُ. يقال: قَرْقَرَ البعير، إذا صفا صوته ورجَّع. وبعيرٌ قَرْقارُ الهدير، إذا كان صافي الصوت في هديره [الصحاح في اللغة للجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار ،دار العلم للملايين ،ط :3،1984م ،ج2 ص789]

20-صيد الخاطر لابن الجوزي د/ محمد محمد تامر مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة ط:1 2005م ص430

21- المصدر نفسه ص:13-14